يبدأ بالموقف فتطور الحدث ثم اكتشاف يؤدي الى تغيـر فالنهايـة ، والكل مترابط في بناء عضوي قوامه حبكـة اساسيـة واخرى فرعية . ان غسان باختصار يختـار البناء الكلاسيكي كمـا قدمه وشرحه لنا ارسطو قبل الفي عام في كتابه « الشعر » ولكـن البناء وحده لا يخلق عملا فنيـا جيـدا .

ولعل احد الامور التي تعرض لها غسان في« عائد الى حيفا » وكان جهده فيها رياديا ، محاولتهالجادةلتقديم انسان يهودي اسرائيلي كشخصيـة روائية . وهـو ما لا اعتقـد انه تم على يد اي اديب عربي قبله . فالاسرائيلي في الادب العربي يقدم كعدو وبالتالي فلا تتم ايـة محاولة جادة لمواجهـة انسانيته فنا ، انه يقدم عادة في شكـل كاريكاتوري مثير للضحك او منفر . اما غسان فقد اختار رجلا وامرأة من المهاجرين الاوروبيين الهاربين من مذابح النازية هما ايفرات كوشن وزوجتـه ميريام . انهمـا يهوديـان عاديـان ان كانا يحمـلان مسئوليـة الاستيطان في ارض على حساب اهلها فهمـا في نفس الوقت ليسا من عصابات الصهيونية ، بل ان الحلم الصهيوني كانخدعة لهمـا بدرجـة من الدرجات . ان ميريام البولندية الاصل ترى في الطفل العربي المقتول صورة اخرى من اخيهـا الذي قتله النازيون في اوشفيتز ،وهي ترغب في العـودة مرة اخرى الى اوروبا . انغسان كنفاني يربط بواسطـة تقديم هذه الشخصية وتاريخها ، لاول مـرة في الادب العربي ، بيـن عذاب المضطهدين في كل مكان ، عـذاب الانسان الفلسطيني على يد الصهاينة وعـذاب الانسان اليهـودي على يد النازية . اننا نتعاطف مع ميريام فـي الروايـة ، وفي اعتقادي ان هذا انجاز . ولكـن التسرع الذي تتسم الرواية به قد ترك اثره على شخصيتيميريام وزوجهـا اللتين كان من الممكـن ان يقدمـا للقاريء بشكل اكثر عمقا ، كان من الممكـن ان يكون غسان اكثر جرأة مـن الناحيـة الفنية فيصور العالم الداخلي لشخصية يهودية من نوع ميريام او افرات .

ان غسان كنفاني ، فيمـا يبدو ، كان يريد ان يضع في هذه الروايـة كل قناعاته الجديدة ، قناعاتـه عـن مسئوليـة جيل كامل في ضياع فلسطين ، قناعاتهالخاصة بمن اختاروا حمل السلاح لتحريرها،وقناعاته ايضا بعلاقة الاضطهاد التي تربط الانسان الفلسطيني الكادح بالانسان اليهودي المعذب ، وقناعاته بامكانيـة التعايش فيالدولة الديمقراطية العلمـانية . كانت هذه قناعات كثيرة وكانت تحتاج لبعض الوقت لكيتختمر بوجدان غسان حتى تخرج الينا في شكل فنيجيد ، ولكنه كان على عجل يريد مواكبة الحدث الفلسطيني الذي كان يتحرك بسرعة مذهلة .

***

بيان الصفدي

قصائد قصيرة

(١) البدء

قولي شيئا لم أسمع من قبـل !
أعطيني حبا لم يمنح من قبل !
وخذيني لشواطيء لم تعرف من قبل !
حتى يمكنني ان ابدأ حالة حب
هذا في ادنى الحالات ...

(٢) شيء مـا

ان كان لعشقك ان يبقى مؤتلقا
فلتبتدئي الآن !.

(٣) البحر كان الشاهد

قالت لـي :
ـ لا تهجرني فأنا موحشة
قلـت :
ـ ولكنـي أختنق بحُمّى القهر
قالت لـي :
ـ لا تنس العاشقة الكبرى
فأجبت :
ـ وكيف سأنسى
والشاهـد كان البحر ؟!

(٤) أفراح صعبة

قالت :
ـ ما عدت أطيق حياتي
قلـت :
ـ ولكنك تحيين
قالت :
ـ ما أصعب ان يفرقنا لجّ طام
قلـت :
ـ صحيح !.. لكنا نقدر ان نفعل شيئا
حتى في داخل انفسنا !
فابتسمت ..
من يوم .. جاءت تخبرني في فرح ..
قالت :
ـ في الدنيا اطفال وبحار .. ومراكب
فيها ناس بسطاء كهذي الارض
وأحلام قابلة للتحقيق !

بغداد